صـــــراع الهويـــــات.. وثقافـــــة الســـــلام

(المجتمع العراقي نموذجا)

www.arabpsynet.com/documents/DocQassimIdenConf&CulPeace.pdf

أ.د.قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

أسئلة للتأمل والحوار

- ماذا تعني الهوية؟ وهل يمتلك الفرد هوية واحدة أم هويات بعدد الجماعات التي ينتمي لها؟ وفي حالة تعدد هويات الفرد وتداخلها، لأية هوية يكون الدور الأكبر في تحديد اهدافه وسلوكه؟
- ماذا تعني الهوية: الشخصية؟ الوطنية؟ القومية؟ والاجتماعية؟ وما الهوية التي تتحكم بسلوك الفرد والجماعات في حالة وجود صراع بين المكونات الاجتماعية؟

بعد كل ما حدث قبل التغيير وبعده في العراق (2003)، هل يمكن أن يتوحد ثلاثون مليون عراقي في هوية وطنية واحدة ويبقى كل واحد منهم معتزا بهويته الشخصية، والجماعات معتزة بهوياتها الاجتماعية، والكل يعيش في وئام، أم أن ثقافة السلام تتطلب تذويب الهويات الفئوية؟.

تحديد مفهوم

يتداول كثير من السياسيين والمثقفين مفردة (الهوية) كما لو أنهم يحملون عنها مفهوما مشتركا محددا وواضحا، فيما يشير واقع الحال الى أنهم يختلفون في دلالاتها ومعانيها وما اذا كانت نوعا واحدا أم على أنواع.

ومحاولة لتوحيد هذا المفهوم واشاعته في الثقافة بشكل عام والسياسة بشكل خاص، وتوظيفها في المشاريع الهادفة الى اشاعة ثقافة

السلام، نشير الى أن علماء النفس الاجتماعي توصلوا الى أن الهوية على أنواع ، أهمها:

1. الهوية الشخصية / Personal Identity :

وتعني ماهية **الأفكار والقيم** الثابتة نسبيا التي يحملها الفرد بخصوص نفسه ودوره وفئته الاجتماعية والاحساس بكينونته وصفاته الفردية من قبيل النزاهة والكرم..

2. الهوية الاجتماعية الفئوية:

وتعني **الشعور بانتماء الفرد لجماعة اجتماعية** معينة ،وتقاليد ومشاعر خاصة بها .وتكون على نوعين في المجتمع العراقي :الهوية المذهبية (الطائفية)وتتمثل بطائفتي السّنة والشيعة ، والهوية العشائرية ،وتتمثل بالعشائر الكبيرة في المجتمع العراقي بشكل عام.

3. الهوية القومية:

وتعني أحساس الفرد **بانتمائه لجماعة كبيرة أو شعب،** يشتركون في تاريخ واحد وقيم وعادات وفولكلور ومشاعر مشتركة بين بعضهم البعض.

4.الهوية الوطنية:

وتعني احساس الفرد **بانتمائه الى وطن واحد** تعيش فيه مكونات اجتماعية متعددة الهويات ،يشكلون شعبا يجمعهم ،على اختلافهم ،شعور مشترك بالاعتزاز بوطن عاشوا على أرضه لتاريخ طويل ،واكتسب أسم دولة لها علم واحد يميزها بين أعلام الدول.

5.هوية الدور:

وتعني ما نستدخله من توقعات مرتبطة بالمكانات المختلفة (سياسي، طالب ،صحفي،..).فيما تعني الادوار الاجتماعية ،التوقعات المشتركة لدى الجماعة بخصوص الكيفية التي تتصرف بها جماعة معينة يشترك افرادها بنشاط خاص في سياق نشاط اجتماعي عام.

6.الهوية الثقافية:

وتعني **أنماط السلوك والمعتقدات والقيم والفنون والآداب والخرافات** ..والمنظور العام للأمور ما اذا كان مرنا أم قطعيا ، التي تميز جماعة اجتماعية او مدينة او وطن.

7.الهوية الدينية:

وتعني شعور الفرد **بانتمائه لدين معين** واحساسه الداخلي نحو هذا الدين.

8. الهوية الجندرية:

وتعني مفهوم الشخص عن نفسه، وماهية **شعوره السيكولوجي بخصوص كونه ذكرا أم أنثى**، والاختلافات في السلوك الناجمة عن الفرص المتاحة والتحديات والخبرات والمحددات التي تخلقها الأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة.

ولك أن تضيف ما شئت من الهويات التي تتنوع بتنوع المكونات الاجتماعية قد تصل الى عشرات كما في الهند وأمريكا، يشكلون شعبا أو شعوبا في حدود دولة لها علم واحد.

تصنيف الهويات بحسب الحجم

مع تنوع هذه الهويات فانه يمكن تصنيفها على أساس حجم أفرادها على النحو الآتي:

1. هويات خاصة:

وتتحدد **بالهوية الشخصية للفرد**، بالمفهوم المذكور آنفا، التي لا يمكن أن تتطابق مع أية هوية شخصية لفرد آخر. وتعني الهوية هنا: الذات الحقيقية التي تجيب عن سؤالين مهمين: **من أنا؟ وماذا استطيع أن أفعل؟**، ونوع مفهوم الذات لديه الذي يعني تشكيلة المعتقدات التي يحملها بخصوص طبيعته وصفاته وامكاناته التي ينفرد بها، وسلوكه النموذجي، وكل ما يتعلق بالصورة الذهنية التي يحملها بخصوص نفسه.

2. الهويات الفئوية:

وتشمل الهويات المتعلقة بالانتماء لجماعات صغيرة او متوسطة الحجم داخل المجتمع الأوسع، وتضم كلا من:

أ. الهويات المذهبية (الطائفية)

ب. الهويات العشائرية

ج. الهويات الثقافية

3. الهويات القومية:

وتضم كلا" من:

أ. العرب.

ب. الكرد.

ج. التركمان.

د. الاقليات الأخرى.

4. الهويات الدينية :

وتضم كلا" من :

أ. المسلمين.

ب. المسيحيين.

ج. الصابئة.

د. الازيديين.

هـ. الديانات الأخرى.

5. الهوية الوطنية:

وينضوي تحت هذه الهوية كل المكونات الاجتماعية التي تعيش في وطن واحد اسمه **العـــــراق** ، ودولة واحدة اسمها **جمهورية العراق**، فيما يخص المجتمع العراقي ..وكذا قل عن المجتمع اللبناني مثلا.

لقد اشرنا الى أن" **الهويـــــة** " لها الدور الأكبر في تحديد أهداف الفرد وتوجيه سلوكه ونوع العلاقة التي تربطه بجماعة اجتماعية معينة أو جماعات، لا سيما في أوقات الأزمات. ونشير الى حقيقة نفسية هي **حاجة الانسان الى هويتين: واحدة للذات** واخرى **اجتماعيـــــة**.. الأولى تمثل كينونته و " **اناه** " الخاص به، والثانية تمثل **عضويته في جماعة مرجعية** (قومية، دينية ، مذهبية..) وهما حاجتان انسانيتان مشروعتان شرط أن لاتكون **الهوية الشخصية "الذات"** مصابة بالتضخم الذي يقود الى الاستعلاء على الآخرين أو الاحساس بالنقص الذي يؤدي الى الشعور بالاضطهاد المرضي.. وكلاهما من صنف البارانويا، وان لا تثير **الهوية الاجتماعية** في صاحبها الشعور باعلاء مكانة واعتبار الجماعة التي ينتمي لها بصيغة التفضيل على الجماعات الأخرى.

توصيف الناس بحسب هوياتهم.

يمكن تصنيف الناس بحسب هوياتهم الى الآتي:

1. المثقفون غير المسيّسين:

يغلب لدى هذا الصنف **الاعتزاز بالهويتين الشخصية والوطنية**، بمعنى ان الذي يحدد اهدافهم ويتحكم بسلوكهم هو: انماء فكرهم، واثبات كينونتهم، والشعور بأن لوجودهم معنى، ولجهدهم التنويري جدوى..وهم يغلّبون انتماءهم للوطن على الانتماءات الاجتماعية الأخرى.

2. السياســـــــــــون:

ويقصد بهم الافراد **المنتمين لأحزاب وكيانات سياسية** بضمنهم المسؤولون في الدولة على صعيد الرئاسات الثلاث والمؤسسات الحكومية ، وهم على صنفين:

أ. **الاسلاميـــــــــــــون:** وهم المنتمون لأحزاب وكيانات دينية توظّف الدين الاسلامي في خدمة السياسة، ويكون للهويتين الدينية والمذهبية، لدى هؤلاء، الدور الاكبر في تحديد أهدافهم وتوجيه سلوكهم.

ب. **العلمانيـــــــــــون:** وهم المنتمون لأحزاب وكيانات تدعو الى فصل الدين عن السياسة، ويكون للهوية الوطنية الدور الأكبر في توجيه سلوك وتحديد أهداف غالبيتهم.

3. القوميـــــــــــون:

ويغلب لدى هولاء التعصب ،بدرجات، لقومياتهم العرقية (العروبيون و الكرديون مثلا") . وتحدد الهوية القومية لدى هؤلاء أهداف ونوع علاقاتهم مع افراد القوميات الأخرى.

4. الطائفيـــــــــــون:

ويغلب لدى هؤلاء التعصب ،بدرجات، لمذهب اسلامي معين أو دين أو معتقد غير اسلاميين. ويكون محرّك السلوك لدى هؤلاء هو الهوية المذهبية أو الهوية الدينية.

5. العشائريـــــــــون:

ويمثلون شيوخ ووجهاء القبائل والعشائر الكبيرة والمتنفذون فيها. وتتحكم الهوية العشائرية في سلوك هؤلاء ونوعية علاقاتهم بالآخرين.

6. الجماهير الشعبية:

وهم الغالبية من الناس غير المسيّسين. وهؤلاء لا هوية محددة لهم تحرّك سلوكهم وتعين أهدافهم، انما يتوزعزن بحسب الظروف الموقفية على جماعات الهويات التي يكون لها الدور الفاعل في حمايتهم الشخصية وتحقيق مصالحهم.

ثقافة الســـــــــلام

يعرّف قاموس وبيستر **"الثقافـــــة"** بأنها: تطور وتحسين وتهذيب العقل والانفعالات والاهتمامات والعادات والاذواق ، فضلا" عن الآداب والفنون والافكار والتقاليد والمهارات الخاصة بجماعة معينة في زمن

معين. ويضيف قاموس اكسفورد، ان الثقافة تعني الجانب الذهني للتمدن أو التحضّر .

وما يهم هنا أن الثقافة، بوصفها **قيم وأفكار ومعتقدات،** هي التي توجّه سلوك الفرد وتحدد نوع أهدافه. ولك أن تشبّه الثقافة، من حيث قوة تأثيرها في السلوك، بالبرنامج الرقمي الذي يتحكم بعمل الحاسوب..وأن تفترض أن بداخل كل واحد منّا **" مركز سيطرة ثقافي "** هو الذي يوجّه سلوكنا ويحدد أهدافنا ..وكما أن **الثقافة القائمة على التنافس** تشجّع على العدوان فان **الثقافة القائمة على السلام** تشجّع على التعاون والايثار.

ويعرّف قاموس وبيستر **"السـلام"** بأنه : التحرر من الحرب وتحقيق الأمن الاجتماعي والتوافق والانسجام والصفاء بين الناس. وعلى هذا الأساس فان (**ثقافة السـلام**) تقوم على ما ذكر في أعلاه، وتعمل على أن تكون الوسيط لنقل: القيم، الأفكار الأخلاقية ، المعلومات، التقاليد، العادات، الانفعالات، والفنون، بين: الناس والاجيال والأمم والحضارات. وبهذا تكون ثقافة السلام **قوة منتجة** من خلال نقلها للأنماط الثقافية من الماضي الى الحاضر، وخالقا مهما ومؤثرا تربويا فاعلا بما تمتلكه من قدرة على ابتكار ما هو جديد من القيم والمعايير والاتجاهات والسلوك.

وتتحدد قيم "ثقافة السـلام" بالآتي:

1. فهم واحترام ثقافات الآخرين واديانهم.
2. حق كل فرد في أن يعامل بشكل أنساني، واحترام قيمه الثقافية ومعاييره وتقاليده.
3. تأمين حرية كل فرد، وحمايته من العنف والارهاب والحرب.
4. تأمين الحقوق المتساوية لكل من الرجال والنساء.
5. التضامن بين الناس على صعيد شعوب العالم، ومناصرة قيام نظام اقتصادي عالمي عادل.
6. فصل الدين عن السياسة.

ومع أن تحقيق السلام بين المكونات الاجتماعية في العراق (ولبنان ايضا) يحتاج الى زمن بالوصف المذكور في أعلاه، فان الصفحة الأولى من

استراتيجية هذا المشروع يجب أن تبدأ **بخفض الصراع بين الهويات** باعتماد الآتي:

1. احترام كل الهويات، والاعتراف بحق وجودها وتطورها واحترام خصوصياتها، وعدم التعرّض لمعتقداتها وما يخصها من مناسبات، بأستثناء التحليل العلمي القائم على الحوار الموضوعي، بهدف تنقية المعتقد بما ينسجم والحياة المعاصرة، وتصحيح أفكار خاطئة بخصوصه قد تحملها افراد جماعات أخرى.
2. التفاعل المتبادل بين جماعات الهويات في المناسبات الوطنية والدينية والثقافية والترويحية، بما فيها تبادل الزيارات في المناسبات الخاصة بجماعة كل هوية.
3. ضمان عدم تعريض افراد جماعة اية هوية الى الاحباط الناجم عن حرمانهم من تحقيق حاجاتهم المشروعة، لا سيما الأساسية منها المتمثلة بالطعام والسكن والصحة والتعليم.

أن ما ذكر في أعلاه تحقق في المجتمعات التي نضجت فيها الديمقراطية وصار فيها مبدأ **تداول السلطة** سلميا" **تقليدا" ثابتا".** والفرد في هذه المجتمعات يكون معتزا" بهويته (الشخصية والاجتماعية) ، مانحا" حق الاعتزاز نفسه لأي فرد آخر وأية جماعة أخرى في المجتمع الذي يعيش فيه.. وهذا ما ينبغي أن يتصف به الفرد العراقي بعد أن تغير نظامه السياسي من الدكتاتورية الى الديمقراطية. فكما للعربي الحق في أن يعتز بعروبته، فللكردي الحق نفسه في ان يعتز بكرديته، وكذا التركماني والقوميات الأخرى. وكما للسنّي الحق في الايمان بمذهبه، فان للشيعي الحق نفسه في الايمان بمذهبه، وكذا الازيدي والصابئي ومن هو على مذهب أو دين أخر. ومع أن **احترابا" رهيبا"** راح ضحيته، بين عامي 2006 و 2008، مئات الالاف من العراقيين الأبرياء على أساس **(الهوية)**، والمخجل انها كانت احيانا" على الاسم ليس الا، فأن هذا الصراع لم ينتهي بين مكونات المجتمع العراقي، انما دخل في مرحلة، هدنة، وتوجّس وترقّب. ولأن للهدنة زمنا" محدودا" ينتهي اما بعودة الاحتراب أو العيش بوئام، ولأن عودة الاحتراب اسهل عمليا" وانفعاليا" (باثارة فتنه على نطاق ضيق مثلا) ،فان **العيش في وئام** يتطلب استراتيجية تستهدف اشاعة ثقافة السلام بين المكونات

الاجتماعية بالوصف المذكور في أعلاه، وأن يبدأ تطبيقه بالأخطر والمحدد بالصراع بين (الهويات القومية) أولا. فخطره - اذا نشب - سيكون ثمنه أفدح وأقسى من الذي دفع في الاحتراب الطائفي، لأن الجارتين الشمالية والشرقية والعرب الجيران والأباعد سيدخلون العراق.. وسيتحول صراع الهويات الى صراع وجود وافناء ..وقد يقطّع العراق الى دويلات ضعيفة فيما المتوقع له أن يكون النمر الآسيوي الأقوى اقتصاديا وعلميا واستراتيجيا ومن الدول المؤثرة الكبرى على صعيد العالم.. ان اعتمد قادته ومثقفوه استراتيجية احتواء صراع الهويات واشاعة ثقافة السلام.

وتبقى ثمة ملاحظة تخص المجتمعات العربية، فبعد أن هبّت رياح التغيير من تونس الى مصر وبلدان عربية أخرى في توجه نحو الديمقراطية، فانها ما أن تهدأ سيتهددها خطر الهويات المتعددة: "دينية ،طائفية،عشائرية،قومية..." لأن **الديمقراطيـــــة ليست فكـــرا** فقط انما هي **سلوك مهذّب يحتاج الى ممارسة وزمن ليترسخ في المجتمعات العربية.**

**** ****

Translate to English
http://translate.google.com/translate_t?#
**** ****
Arabpsynet
www.arabpsynet.com
Subscribe To APN
http://www.arabpsynet.com/Subs.asp
المجلة العربية للطب النفسي
http://www.arabpsynet.com/Journals/ajp/index-ajp.htm

Subscribe to APN Protected Links
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm
Subscribe to APN Editions
(APN Book, APN Journal, e.Psydict)
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm